الإكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم

تأليف
الدكتور سليمان عمر قوش

دار الحرمين
الدوحة

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار الحرمين للنشر
الدوحة - قطر
ص.ب: ٥٢٥٤ - هاتف: ٤١١٥٤٥

مقدمة

« بين يدى البحث »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ـ مالك يوم الدين . والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد بن عبدالله الذي أرسله الله رحمة للعالمين أدّى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للناس أجمعين . وبعد :

كنت أستمع إلى شريط مسجل للباحث المسلم الدكتور عبد المجيد الزنداني وموضوعه العلم والدين ولم أكن أتصور أن العلم في مجالاته المختلفة قد توصل إلى كشوفات واختراعات وحقائق إذا أمعنا النظر فيها نجدها مطابقة إلى حدٍ كبير لكثير من آيات الله في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرناً ولكن تذكرت أن الله وعد في محكم كتابه ، أن يريهم الآيات الدالة على وحدانيته وعظمته فقال سبحانه :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أَوَلَمْ يكف بربك أنه على كل شيءٍ شهيد﴾.

(فصلت/٥٣)

وبدأت أجمع الكتب العلمية وأستمع إلى المزيد من الأشرطة المسجلة والخاصة في هذا المجال وقررت أن أُبَيِّنَ هذا الأمر لكل الناس وخاصة لمن لهم معرفة بالعلوم الحديثة . فيكون هذا الكتاب بمثابة تذكير لهم بآيات الله في الآفاق وفي أنفسهم لعل الله يهديهم إلى طريق الحق المستقيم .

وقد أثار انتباهي ما كتبه الدكتور موريس بوكاي في كتابه « دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث» حيث قال: (لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية ، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة ، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام ، وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة) .

ويقول أيضاً: (إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نص القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة ، فهناك الخلق ، وعلم الفلك ، وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ، والتناسل الإنساني ، وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة ، لا نكتشف في القرآن أي خطأ ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل : لو كان كاتب القرآن إنساناً ، كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق مع المعارف العلمية الحديثة) .

وأحب أن ألفت النظر إلى أنني بكتابة هذا البحث المتواضع عن الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم ليس معناه أنني أفسر الآيات القرآنية ولكن بعد اطلاعي على المراجع المختلفة أيقنت أنه إذا اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها ولكن لا يصح أن نجر الآية الى العلوم كي نفسرها بها ، ولقد ترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أتوا منها في الزمان الذي هم يعيشون فيه . وفي هذا الصدد يقول العالم العربي الدكتور فاروق الباز: يجب عدم محاولة تفسير القرآن وفقاً لما توصل إليه العلم من انجاز وإنما العكس هو الصحيح ، يجب أن نفسر العلم بما ورد في القرآن الكريم لأن العلم البشري محدود وقاصر ولم يقل كلمته النهائية بعد في كل شيء . فالعلم متغير وغير ثابت ولكن القرآن هو الكلمة الشاملة الثابتة وكل ما نراه في الكون من مظاهر وآيات له دلالات في القرآن . وما زلنا في العلم نحبوا في آفاق ما خلق الله تعالى من حولنا . فيجب علينا أن نتمعن في المخلوقات من حولنا حتى يزداد إيماننا .

مكتبة المهتدين لدراسة الإسلام ومقارنة الأديان

ويقول أيضاً: إن رواد الفضاء بعد صعودهم في الرحلة الفضائية يعودون مزدادين إيماناً.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يتقبل عملنا هذا ويجعله ذخراً لنا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

دكتور سليمان عمر قوش

الدوحة في غرة رجب ١٤٠٦ هـ

١٠ مارس١٩٨٦م

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

الباب الأول
آيات الله في الانسان

الفصل الاول
الأسس العلمية في خلق الانسان
ودلالتها في القرآن والسنة

قال تعالى : ﴿ أَوَلا يذكر الانسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾
(مريم/٦٧)

قال تعالى : ﴿ إن مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون ﴾
(آل عمران/٥٩)

قال تعالى : ﴿ اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوَّاك رجلاً ﴾
(الكهف/٣٧)

قال تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى ﴾
(طه/٥٥)

قال تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين ﴾ .
(السجدة/٧ ـ ٨)

قال تعالى : ﴿ خلق من ماء دافق ﴾
(الطارق/٦)

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

قال تعالى : ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى ﴾
(النجم/ ٤٥ ـ ٤٦)

قال تعالى : ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾
(نوح/١٣ ـ ١٤) .

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر . . ﴾
(المؤمنون/١٢ ـ ١٤)

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقةٍ وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً . . . ﴾
(الحج/٥)

قال تعالى : ﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾
(الانسان/٢)

قال تعالى : ﴿ من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسَّره ﴾
(عبس/١٩ ، ٢٠)

أطوار خلق الانسان :

أولاً : كان الإنسان لا شيء أي أنه لم يكن قد خلق بعد .

ثانياً : خلق التراب

لقد أكد العلم الحديث أن الأرض والأجرام السماوية كانت عبارة عن كتلة غازية ملتهبة ثم بردت بعض أجزائها فكونت الأرض ، وبمرور الزمن تكونت التربة على قشرتها ثم ظهر النبات عليها وتلا ذلك ظهور الحيوان فالانسان .

وهذا ما أكده حديث رسول الله محمد بن عبدالله (ﷺ) : حيث قال :

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

« خلق الله عز وجل التربة يوم السبت . . . وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة . . . » . **رواه مسلم** .

وهذه الأيام المذكورة في الحديث الشريف ليست كأيامنا هذه بل أحقاب وأزمان أو مراحل للخلق « لأن المجموعة الشمسية لم تكن قد تكونت بعد » .

ثالثاً : خلق آدم أبو البشر عليه السلام :

إن الكائنات الحية خلقت من الماء حيث يكون الماء نسبة كبيرة جداً من تركيبها ولولا ذلك ما استطاعت أن تقوم بوظائفها وحركتها. وخلق آدم كذلك من التراب والماء (الطين). (راجع الآيات السابقة).

وقال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

فالانسان ما هو الاَّ برمتيل صغير من الماء مع عناصر معدنية هي نفس العناصر الموجودة في الأرض ولكن بنسب مختلفة فاذا مات الانسان تحلل جسمه إلى نفس العناصر التي خلق منها ويصبح جزءاً من التربة. إن خلق آدم عليه السلام يصبح لغزاً للذين ينظرون إلى كل الأمور نظرةً مادية ولكنه عند المؤمنين ـ بالله الذي خلق آدم ـ لا يكون لغزاً ولكنه حقيقة واضحة معروفة إذ أن خلق آدم معجزة وليس تابعاً لقانون معين . كذلك خلق عيسى عليه السلام . . . إنه بكلمة ربانية . . . كن فيكون. وقد اختلفت ألوان البشر وطبائعهم وأخلاقهم وألسنتهم مثل ما اختلفت التربة الأولى التي خلق منها آدم .

ففي الحديث الشريف : « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك » (مسند الامام أحمد) .

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي خلق ويعلم سر الخلائق ومنها خلق الانسان .

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

قال تعالى : ﴿ ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم . . . ﴾

(الكهف/٥١)

لذا فإن علم الانسان قاصر ـ مطلقاً ـ على أن يحدد كيفية ومراحل خلق آدم عليه السلام . لأن السر يكمن في كن فيكون ، قلنا أن الأنسان من الناحية التركيبية البيولوجية يتكون من ماء وعناصر معدنية ، هذه العناصر تكوِّن بدورها الآلاف من المواد العضوية المعقدة التي يتداخل في تركيبها الكربون والهيدروجين والاوكسيجين بالدرجة الأولى ، والغريب في هذه التكوينات أن الذرات الداخلة في تركيبه إذا اختلفت اختلافاً بسيطاً أو تبدلت في موضعها من مكانٍ لآخر حصل مركب آخر مغاير للأول في خواصه وصفاته مغايرة تامةً .

قال تعالى : ﴿ إنَّا كل شيءٍ خلقناه بقدر ﴾

(القمر/٤٩)

هذه المواد العضوية هي التي تكون الخلية التي هي لبنة البناء في جسم الانسان حيث يتكون الجسم من بلايين الخلايا التي تتجدد باستمرار .

رابعاً : طور النطفة

لقد خلق اللهآدم من تراب وماء ونفخ فيه الروح التي لا يعلم كنهها الاَّ الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلاً ﴾

(الاسراء/٨٥)

ثم خلق الله حواء من جسد آدم . ثم جعل نسل آدم وحواء من ماء مهين إلى قيام الساعة .

هذا الماء هو السوائل الجنسية في الرجل والمرأة ، وهو شامل للمني وما سواه .

مكتبة المهتدين إسلامية لمقارنة الأديان

والمني : هو السائل الذي يحمل عناصر التناسل في المرأة والرجل .

وعناصر التناسل : هي النطفة المذكرة (الحيوان المنوي) والنطفة المؤنثة (البيضة) وحاصل تلقيح النطفة المذكرة للمؤنثة هي النطفة الامشاج .

قال تعالى : ﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا ﴾

(الانسان/٢)

هذا الماء المهين الذي يخرج من الرجل حاملاً النطف يتدفق دفقة بعد أخرى بعملية القذف ـ EJACULATION ـ ولكن هل للمرأة ماء يتدفق كذلك ؟

نعم . . فالمرأة لها نوعان من الماء أولهما ماء المهبل (افراز غدد بارتولين) وهذا يسيل عند الاثارة الجنسية للمساعدة في الايلاج والثاني الماء الدافق الذي يخرج حاملاً البويضة بعد انفجار الجريب من المبيض عبر القناة الى الرحم .

قال تعالى : ﴿ خلق من ماءٍ دافق ﴾ .

(الطارق/٦)

والمعروف علمياً أن ماء الرجل أبيض وماء المرأة (الجريب المحتوي على البيضة) أصفر وهذا ما أكده حديث رسول الله ﷺ « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر . . . » أخرجه مسلم .

وبعد أن تتحد النطفتان المذكرة والمؤنثة وتكوين النطفة الأمشاج في قناة الرحم تبدأ في الإنقسام وتتحول الى بيضة توتية Morula ثم كرة خلوية Blastula حيث تبدأ في الانغراس في جدار الرحم (وهي نطفة) تتحول الى طور آخر هو طور العلقة .

قال تعالى : ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (الرحم) . . ثم خلقنا النطفة علقة . . . ﴾

المؤمنون/١٢ ـ ١٤)

والدليل على أن خلق الإنسان من الرجل والمرأة كان معروفاً في القرن السابع الميلادي وهو الحديث التالي : أخرج الامام احمد في مسنده أن يهودياً سأل

النبي ﷺ فقال : « يا محمد مم يخلق الانسان » فقال الرسول (ﷺ) « يا يهودي من كل: يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة» فقال اليهودي هكذا كان يقول من قبلك) أي من الانبياء .

لقد ميَّز الله سبحانه في القرآن الكريم بين النطفة والمني إذ جعل النطفة جزءاً من المني الذي يمنى وجاء هذا على لسان محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي حيث لم يكن قد اكتشف المجهر بعد .

قال تعالى : (في سورة القيامة/ ٣٦ ـ ٣٧) ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من مَنيٍّ يمنى﴾.

خصائص طور النطفة : أولاً . تعيين جنس الجنين . ثانياً : تقدير الجنين .

أولاً : من مفهومنا للآيتين السابقتين تبدو لنا حقيقتان علميتان :

أ ـ أن جنس الجنين يتعين في طور النطفة .

ب ـ أنه يتعين أثناء إمناء النطفة بالتحديد .

لم تكتشف الخلايا إلا في القرن التاسع عشر واعتبرت لبنة البناء في كل كائن حي ثم اكتشفت الكرموزومات في الخلايا في القرن العشرين واتضحت علاقتها بتحديد جنس الانسان في هذا القرن أيضاً .

تحتوي كل خلية من خلايا جسم الانسان على ٤٦ كرموزوماً مرتبة في أزواج أي ٢٣ زوج منها ٢٢ زوج تتشابه فيه الكرموزومات اما الزوج الثالث والعشرين فإنه يتشابه في الأنثى ونرمز له بالرمز (ل ل XX) ولا يتشابه في الذكر ويرمز له بالرمز (م ل XY).

والخلايا البدنية في جسم الانسان تنقسم انقساماً عادياً فالخلية تنقسم الى اثنتين كل واحدة تحتوي على نفس العدد أي ٢٣ زوجاً من الكرموزومات. أما الخلايا الجنسية (مُنشِآت النطف عموماً) في خصية الرجل ومبيض المرأة فتنقسم انقساماً اختزالياً ويتولد عن ذلك أن نطفة الذكر تحتوي على نصف عدد الكرموزومات (٢٢ جسدي + ١ جنسي) (ل إما X) (شارة الأنوثة) أو (٢٢ جسدي + ١ جنسي) (م Y) (شارة الذكورة).

ولا يكتمل هذا الانقسام إلاّ في مرحلة الرجولة. أي أن هناك نوعان من الحيوانات المنوية حيوان يحمل شارة الذكورة(Y) والآخر يحمل شارة الأنوثة(X) حيث تنتقل عبر الأنابيب المنوية في الخصية إلى البزغ إلى الحويصلات المنوية حيث يضاف إليه هناك إفرازات البروستاتا بانتظار الوقت المناسب لعملية إمناء النطف (الاندفاق). أما البويضة فإنها تتبع عملية إمناء مشابهة ولكنها أقل أهمية في تحديد جنس الجنين حيث تكون في حالة ركود منذ بداية الانقسام الاختزالي للخلايا الجنسية الابتدائية حتى سن البلوغ، ويكتمل الانقسام الاختزالي فيها أثناء نضج الجريب في المبيض. وتحتوي كل بيضة على نصف العدد الكلي للكروموزومات أي ٢٢ جسدي + كروموزوم مؤنث (ل X) دائماً هكذا، حيث تقذف بعد أسبوعين من بداية الدورة الطمثية إلى قناة الرحم وتموت إن لم تجد الحيوان المنوي الذي ينتظرها خلال ٨ ـ ١٢ ساعة. أما إذا أفلح أحد الحيوانات المنوية في تلقيح البويضة وكان هذا الحيوان حاملاً الكروموزوم ز + الاشارة المذكرة (م Y) فالحمل يؤدي إلى جنين ذكر. أما إذا أفلح حيوان منوي يحمل الاشارة المؤنثة (ل X) فالحمل يؤدي إلى جنين أنثى.

ومن هنا فإن هذه الحقائق العلمية تؤكد ما أكده القرآن في القرن السابع الهجري من أن تعيين جنس الجنين يتم في طور النطفة وبالتحديد يتم أثناء عملية إمناء النطف.

ثانياً : تقدير الجنين :

قال تعالى : ﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾ (عبس / ١٩) .

١ ـ اقدار الجنين أثناء الحمل :

إن استمرار الحمل يتحدد في طور النطفة عند الالقاح لتكوين النطفة الامشاج فهنا تتحدد الصيغة الكروموزومية للكائن الجديد نهائياً ، وبالتالي يتقرر نهائياً ما إذا كان هذا المشج سيؤدي إلى خلق نفس جديدة أم لا ؟ ذلك لأن كثيراً من الصيغ الكروموزومية لا تحمل إمكانية التطور. فإذا كانت الكروموزومات متعطلة أو التقت بصيغ غير سلبية فإن الحمل سيتوقف في بعض الأطوار وينتهي الأمر بالاجهاض في مرحلة ما من مراحل الحمل. وإذا بحثنا في أسباب تشوهات الأجنة فإن أغلبها يكون مورثياً أي يتقرر لحظة الالقاح والغالب أنها تجهض

والقليل يستمر في النمو ويولد مشوهاً . أما الأسباب الأخرى للتشوهات فهي تعرض الجنين في طور العلقة لعامل مشوه كالاشعة وبعض الأدوية وبعض الأمراض الفيروسية أو سوء تغذية الأم .

وقد أكدت أحاديث الرسول ﷺ هذه الأمور :

« إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها فيقول يا رب أذكر أم أنثى ، أسوي أم غير سوي فيجعله الله سوياً أو غير سوي ، ثم يقول يا رب ما رزقه وما أجله وما خلقه ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً » رواه مسلم .

٢ ـ الأقدار المتعلقة بالصفات البدنية :

والصفات البدنية للجنين تقرر ساعة مشج النطفتين واجتماع الصفات المحمولة بالمورثات (GENES) المتوضعة على الكرموزومات الآتي نصفها من الأب ونصفها الآخر من الأم . هذه الصفات البدنية والاستعدادات المختلفة للأمراض وسواها تتعلق مباشرة بالصيغة الكرموزومية المورثية التي تجلت فور الالقاح . لذلك فإن البشر يختلفون في صفاتهم بلا حدود . إن هذه الكرموزومات وما عليها من مورثات هي الشيفرة السرية للخلق ، فهي التي تنقل أسرار الوراثة من جيل إلى جيل ابتداءً من آدم عليه السلام وحتى نهاية العالم .

وفي الحديث : « إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم » رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وفي الحديث كذلك : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » .

وقد اكتشف العلم حديثاً أن كل مورثة GENS تؤدي إلى إنتاج صفة من الصفات (مثل لون الشعر أو الطول أو شكل الأنف) وأن كل زوج من الكرموزومات المتماثلة يحمل مورثات متناظرة للصفات نفسها . أي أنه يوجد لكل صفة زوج من المورثات احداهما من الأب والآخر من الأم . وأيهما غلب الآخر تبرزالصفة الغالبة في الجنين . فمثلاً إذا كانت المورثة تحمل اللون الأبيض من الأم والأخرى تحمل اللون الأسود من الأب فإذا نشطت المورثات من الأم وسيطرت على المورثات من الأب (أي علت عليها) أو سبقتها فإن المولود يكون أبيض

اللون والعكس بالعكس وتجد مصداقاً لهذا حديث الرسول ﷺ :

« ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة أصفر رقيق فايهما سبق أو علا أشبهه الولد » مسند الأمام أحمد . فهل كان يعمل محمد قوانين الوراثة في عصره . هذه المورثات المتناهية في الصغر كل منها تؤدي وظائف وتحمل أسراراً لا يحيط بها ولا يدرك مداها إلا خالقها جل وعلا .

هذه المورثات تنقل الينا من الآباء والامهات والأجداد طبائعهم وأسرارهم والوانهم وخصائصهم مع تفرد كل منا عمن سبقه وعمن لحقه وعمن عايشه .

وإذا جمعت هذه المورثات البشرية من آدم عليه السلام وحتى الآن فلن يزيد حجمها عن بضع سنتيمترات مكعبة وفيها من الأسرار والعلوم ما لا يعلمها الا الله ، وقد خلق الله آدم وأخرج ذريته من ظهره من عالم الذر وأراه إياهم عياناً وأشهدهم على أنفسهم أنه هو ربهم وخالقهم وشهدوا وشهدت الملائكة على ذلك .

قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾

(الاعراف/١٧٢)

وفي الحديث: عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم: قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس. فقال ألست بربكم قالوا بلى. . . الخ الحديث). فليس من العجيب إذاً أن يخرج الله من ظهر آدم ذريته على شكل ذرات كل ذرة هي سر الإنسان نفسه بشحمه ولحمه.

ثالثاً : الاقدار المستقبلية :

أما مستقبل الجنين فيكتب عليه بعد أن يصبح آدمياً كاملاً وتنفخ فيه روحه وقد وردت أقدار الرزق والأجل والعمل والشقوة والسعادة في كل الأحاديث النبوية بعد الاقدار المالية والبدنية ونفخ الروح فيه.

قال ﷺ : « إن احدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » متفق عليه. ومن هنا نستنتج أن طور النطفة هو طور التقدير وهو طور مفرط في القدم نتيجة اشتقاق النطف من النطف إلى آدم وحواء عليهما السلام . وبعد أن تتحرك النطفة المؤنثة في بطن المرأة ليجمع الخلق فإن المشج يقع في حوالي اليوم الرابع عشر وتستقر في الرحم بعد سبعة أيام أخرى وتصبح علقة بعد (١٩) يوماً أخرى أي بعد أربعين يوماً من أول يوم من آخر طمث .

فطور النطفة إذاً هي كل المراحل التي يجري فيها التحضير للتصوير الذي سيتم في الطور التالي (العلقة) .

رابعاً : طور العلقة :

طور العلقة هو طور تخلق الأعضاء ...ORGANOGENESIS . . . ويتصف بصفة العلوق ، ويبدأ هذا الطور بعد انتهاء طور النطفة الذي جرى فيه تقدير الجنين وتعيين جنسه والتحضير لتصوير أعضائه ، ويمتد هذا الطور أربعين يوماً يكتمل فيها تصوير الاعضاء وينتقل الحمل بعدها إلى طور المضغة (المخلقة وغير المخلقة) ، وطور العلقة هو أهم طور في خلق الانسان يخرج به من عالم التقدير إلى عالم التصوير ولذلك أشار الله تعالى اليه في أول آيات من القرآن أنزلت على رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ خلق الانسان من علق ﴾ . (العلق/٢) .

روى الإمام مسلم في كتاب القدر عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قوله (ﷺ) :

« إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة وفي رواية بضع وأربعون بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص» وقال ﷺ : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك

ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد». متفق عليه.

قال تعالى :

١ ـ ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة . . . . ﴾ (المؤمنون/١٢ ـ ١٤) .

٢ ـ ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴾ (القيامة/٣٦ ـ ٣٩) .

بعد الالقاح تتكون النطفة الأمشاج ثم تنقسم إلى كرة توتية ثم إلى كرة خلوية تنغرس في اليوم الحادي والعشرين تقريباً من أول يوم من أيام الطمث في جدار الرحم وتحتوي على لوحة خلوية (الحميل) Embryonic plate تقع بين جوفين أحدهما المحمي Yolk Sac والثاني الأمنيوس Amniotic Sac ويضطرد نموها في جدار الرحم ثم لا تلبث أن يتجه نموها باتجاه جوف الرحم نظراً لأنها لا تستطيع اختراق جدار الرحم العضلي المتين.

أثناء ذلك تكون اللوحة الخلوية آخذة بالتطور لتشكل الوريقات الثلاث الظاهرة Ectoderm والباطنة Endoderm والمتوسطة Mesoderm التي تبدأ في الاستعداد لتشكيل الاعضاء ، فيأخذ الحميل شكل دودة يظهر فيها حبل يسمى بالحبل الظهري Notocord وقناة مفتوحة النهايتين تحصل من تثني الوريقة الظاهرة . أما المتوسطة فتتشكل منها كتل على جانبي الحبل تسمى بالكتل البدنية Somites تظهر تباعاً . وحين يبلغ الحميل ٤٠ يوماً تقريباً تنغلق نهايته السفلية ثم العلوية ويكون قد اكتمل ظهور الكتل البدنية فيظهر قلب بدائي، وأنبوب صغير عبارة عن المعي الابتدائي.

إذاً في اليوم الاربعين الاولى تكون النطفة شكل (دودة العلق) حيث تكون قد كبرت وتدلت في جوف الرحم معلّقة بجداره وتكون الاستعدادات لتخلق الاعضاء قد اكتملت . ويصبح كل شيء جاهزاً للبدء الفوري والسريع بتصوير الاعضاء خلال اربعين يوماً أخرى هي طور العلقة .

قال تعالى : ﴿ ثم كان علقة فخلق فسوّى ﴾ (القيامة/٣٨) .

ومعناه أنه بعد العلقة يبدأ التكوين أو التصوير أما التسوية فهي اكتمال التصوير او (التكوين) لكل التركيبات الأساسية الداخلية والخارجية ويتجه بالجنين نحو شكل انسان مميز في نهاية هذا الطور . بالإضافة إلى تميز جنسه من حيث كونه ذكراً أو أنثى .

لنراجع الآن علم الجنين الحديث :

تجمع كتب الجنين على ان كل الأعضاء والاجهزة بلا استثناء تبدأ بالتشكل في الأسبوع السادس (٦ × ٧ = ٤٢) الطمثي وهو يعادل الاسبوع الرابع اعتباراً من الالقاح ، ويكتمل تشكلها في الاسبوع الحادي عشر (١١ × ٧ = ٧٧) وتجمع كتب الجنين على أن الكائن الجديد يكون سوياً مكتمل الاعضاء في الأسبوع الثاني عشر(من اليوم ٧٧ الى اليوم ٨٤) . . .

فهل قال علم الجنين شيئاً مختلفاً عن حديث الاربعينات . . . انها الاربعين الثانية التي يتم فيها تخلق وتصوير الأعضاء ، وصدق الله ورسوله . . . .

إن العلم الحديث اكتشف حقيقتين في مسألة جنس الجنين قررهما القرآن الكريم بوضوح .

١ ـ الحقيقة الأولى : أن جنس الجنين يقرر نهائياً في مرحلة النطفة أثناء امنائها ، ﴿ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى * من نطفة اذا تمنى ﴾ **(النجم/ ٤٥ ـ ٤٦)** .

فخلق الزوجية يحصل في طور النطفة . . . .

٢ ـ الحقيقة الثانية ان جنس الجنين يصور وينفذ في طور العلقة وذلك بتصوير الاعضاء التناسلية لكلا الجنسين في هذا الطور ، أي بكلمة أخرى أن الجنين (يجعل) ذكراً أو (يجعل) أنثى في طور العلقة وذلك حسب ما هو مقرر له في طور النطفة . . .

قال تعالى : ﴿ ايحسب الانسان ان يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴾ (القيامة/ ٣٦ ـ ٣٩)

فالجنين في الاسبوع الثاني عشر (اليوم ٨٠) يكون كاملاً تام الخلقة واضحاً ان كان ذكراً أم أنثى . . . هذا ما اكتشفه العلم الحديث وهذا ما قرره القرآن الكريم .

والادوية التي تشوه الجنين اذا اعطيت لأمه في أثناء تخلق اعضائه قبل اليوم الثمانين (الفترة الحرجة) لا تشوهه بعد هذا التاريخ لأن اعضاءه قد اكتمل تخلقها وتصويرها . . .

عن حذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول : «إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة. ثم يتصور عليها المَلَك فيقول: يا رب أذكر أو أنثى ؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى . ثم يقول : يا رب ، سويّ أو غير سويّ؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي. ثم يقول: يا رب، ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خُلقه ؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً » رواه مسلم .

هذا الحديث وكأن الرسول فيه عالم أجنة في الستينات من هذا القرن ، وقف يتحدث عن (الفترة الحرجة) وأن مصير الجنين يتحدد في نهاية طور العلقة : من حيث السواء أو التشوه « ثم يقول يا رب . أسويٌ أو غير سويّ ؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي » وهذا يدل على أن القائل هو رسول يوحي اليه الله الذي يعلم ما يحدث لكل جنين ومتى يحدث﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾؟؟

في نهاية طور العلقة يكون طول الجنين حوالي ٥ سم وقد تخلقت أعضاؤه تماماً واستحق بهذا أن يسمى طور المضغة المخلقة فقد أصبح حجمه كقطعة اللحم التي تمضغ ومع ذلك فهو مخلوق بكامل أعضائه يعرف عند النظر اليه أنه جنين إنساني .

خامساً : طور المضغة

قال تعالى :

١ ـ ﴿ يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبينّ لكم ونقر في الأرحام ما نشاء . . . ﴾

(الحج/٥) .